أسباب أزمة العلوم الإنسانية بين المنسي والمطروق

د : حسن علي المخلف

استاذ مساعد في الادب والنقد العربى الحديث – سوريا

في عالم اليوم المتغير نحن بحاجة إلى العلوم الإنسانية أكثر من أي وقت مضى

١- وصف أزمة العلوم الإنسانية :

(بقيت العلوم الإنسانية على موعد دائم مع أزمات متعددة الأوجه والمسارات، وهي تحاول دوما الإجابة عن تساؤلات لم يشهدها فرع آخر من فروع العلم والمعرفة ،وهذا ما يفسر القلق الذي يعيشه علماء الإنسانيات والاجتماع في رصد الظواهر والتحولات التي تصيب المجتمعات ، تلك التحولات العميقة والواسعة كشفت عجزهم إزاء ما يشهدونه من تحولات وظواهر جديدة لا عهد لهم بها، وليس بمقدور نماذجهم المعرفية التقليدية الإحاطة بها وفهم دلالاتها. كتب الفرنسي جوفاني بوسينو: "إذا كان من الواجب تمييز علم الاجتماع في الأربعين سنة الأخيرة بكلمة واحدة فإن (كلمة) إنقلاب هي التي تفرض نفسها بالتأكيد، فمنذ أواخر سبعينيات القرن العشرين بدأت الوظيفية ومعتقدات وتأكيدات أخرى تتمزق، وهذا ما جعل التحليلات والآراء التي تعالج القضايا الاجتماعية والإنسانية خيالية أكثر من كونها طرح تنظيري ورؤية عملية يمكن ترجمها على أرض الواقع، لذلك بدت كل التحليلات المتعلقة بالواقع التاريخي والاجتماعي غير واقعية وتدخل في حيز الحشو الذي لا طائل منه، ليس هذا عجز نتيجة التقصير بالدراسات إنما يتعلق الأمر بتجاوز التغيرات مرحلة المتابعة والتحقق ونتج عنها شعور بتفكك الجماعة وتشتت الفكر الناظم لها ، لذلك نرى فيضا من الدراسات المتناقضة في توجهاتها وأهدافها والمتناقضة في نتائجها وهي تعالج قضية واحدة .

إننا في واقع الأمر أمام معضلة إنسانية قد يصل ضررها إلى فقدان الثقة في الذات وجدوى الدراسات المتعلقة بها ، نحن أمام مشكلة لا يمكن تقديم وصف شامل لها إنما يكتفى بالقول :

نحن أمام مشكلة وجود أو مشكلة بناء الثقة من جديد بقدرتنا على فهم أنفسنا ومجتمعاتنا والعالم من حولنا

والحق يقال إن الإشارة إلى الأزمة ومحاولة فهمها يعد أمرا في غاية الأهمية ويعبر عن سعة أفق وتطلع جاد للخروج من المشكلة بطريقة علمية رصينة .

لماذا العلوم الإنسانية ؟

كي نصل إلى فهم الإجابة فهما يؤدي الغرض المطلوب، لابد من الوقوف عند فحوى العلوم الإنسانية من خلال تعريفها : فهي العلوم التي تهتم بدراسة الخبرات والأنشطة التي يقوم بها البشر والمعارف المرتبطة بحقيقة الإنسان وماهية الإنسان، وهناك تعميم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متداول أن العلوم الإنسانية هي النقيض من العلوم التجريبية والتطبيقية ، **وهذا ما يحاول هذا البحث إثبات عكسه .**

يتطلب بناء المجتمع القوي المقاوم للأزمات التي تخل في نشأته وتطوره أن نبدأ بالمؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن النشأة الاجتماعية وهي الأسرة ، ولن يتم ذلك بعيدا عن العلوم الاجتماعية التي نحاول التعرف على أزمتها الحقيقية التي جعلت العلوم الإنسانية غير قادرة بالشكل المطلوب على تتبع أنماط التفاعلات بين الأدوار الأسرية وتأثيراتها السلبية والإيجابية في التحولات الاجتماعية الأكثر تعقيدا ، وتتحول تدريجيا إلى ما يشبه الثورة والانقلاب على المفهومات السائدة التي يكتسبها الفرد من المجتمع في ظل كل المتغيرات التي تحكم عالمنا اليوم وخاصة بعد طغيان فكرة العولمة التي تسعى جاهدة للسيطرة الفكرية والسياسية على واقع المجتمعات كلها ، ولسوء الطالع فإن للعولمة وصفة سحرية للسيطرة على المجتمعات سياسيا من منطلق فكري ناعم المظهر قاسي المخبر لدرجة تصل فيها إلى توجيه الفكر الجمعي بأساليب جديدة نابعة من معالجة مفهومات إنسانية ونظريات اجتماعية ، لذلك فإن تدارك الخطر والتعامل مع مشكلات العلوم الإنسانية باعتبارها أزمة تمس فئات المجتمع وثوابته كاملة يمكن أن يمنح دورا للمربين والمصلحين والعاملين في الشؤون الاجتماعية ..... في بحث أزمة تفعيل العلوم الإنسانية في المجتمع العلمي والإنساني بشكل فاعل ومؤثر لتطوير البيئة التي نعيشها ونتأثر بمكوناتها، ولا يخفي على ذي عقل أن بناء الفرد يبدأ بنصحه وتوجيهه قبل تقديم الحاجات المادية له، فالصحة الاجتماعية الإنسانية (إذا جاز التعبير) أهم وأشمل من الصحة البدنية مع _ضرورتها_ فما فائدة قوة البدن مع عقل مختل وتصرف لا مسؤول، بل قد تتحول إلى ضرر أكثر من كونها فائدة ونقطة قوة.

من هنا يكمن التأثير في تجاهل قيمة العلوم الإنسانية في المجتمعات العربية على مستوى الفرد والجماعة ، فلا بد من تفعيل الدور القيمي الذي يربط الإنسان بمجتمعه الإنساني من جهة والثقافي والسياسي والعملي من جهة أخرى ، ولعل وسائل الإعلام والفضائيات وشبكة المعلومات الإلكترونية بدأت تلعب دورا كبيرا نظرا لكونها جزءا من أدوات الإنسان المعرفية والتواصلية بل وصلت إلى مرحلة توجيهه بطريقة مخيفة وفاعلة (ولا يخفى كيف استطاعت جمع الشباب في الساحات العامة) إن تسخير التكنلوجيا لخدمة العلوم الإنسانية تساعد على التفاعل والتطوير لخلق التغير المطلوب في مجتمعاتنا وجعل العلوم الإنسانية من ضمن أولويات التطور والبحث .

لا يمكن حل أزمة العلوم بطرح النظريات والسعي لإيجاد مكاتب وهيئات تهتم بها ، إنما يكمن الحل في جعل الاهتمام بالعلوم الإنسانية وفوائدها ثقافة وإيمان بجدوي التعامل معها ، ويجب علينا أن نجعل في مناهجنا وخططنا التعليمية ما ينفع الجيل في تعليمهم وفي تعاملهم مع أثر العلوم الإنسانية ليكون دورهم في بناء المجتمع كبيرا، ومن هنا يجب ألا يقف المهتمون بالعلوم الإنسانية والمدركون لدورها على تقاليد وثقافات محددة (بل سرعة التغير) وعدم الهجوم (بدعوى التطور) على العادات والثقافات التي تؤدي دورا إيجابيا في تطوير الأداء والأساليب لمعرفة التعامل الأكثر نفعا ، والأكثر فائدة وتوصيفا لحال المجتمع .

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصفوة القول : يتطلب التغير للأفضل التعاطي مع العلوم الإنسانية جنبا إلى جنب مع العلوم التطبيقية ، لأنها تعكس الدور الإيجابي والسلبي لثقافة الفرد في مجتمعه وماهية تعامله مع الآخرين، لذلك فإن المعرفة والحكمة هما أساس الإنسان النافع ليكون جميلا في جوهره تظهر عليه إشراقة العلوم والثقافة واحترام قيم الإنسان وتطوير إمكاناته وجميلا في مخبره من خلال النفع الذي يقدمه لمجتمعه الصغير وعالمه الكبير .

مشكلتنا مع العلوم الإنسانية ؟

إن أول ما يؤرق العاملين في حقل العلوم الإنسانية هو (هل العلوم الإنسانية علوم أم مجرد ترف ثقافي لا حاجه للمجتمعات الفقيرة والمتوسطة به . لذا نجد أنه من أهم الموضوعات التي يجب معرفتها هي مدى تحقيق الدراسات الإنسانية لمفهوم العلوم لكي يكون مسموح لها أن تسمى علوما إنسانية .

تعني كلمة العلوم **أنها دراسات قابلة للقياس والتجربة** ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن نقيس مثلا الأزمات العاطفية والأمراض النفسية وكل مرض نفسي يرتبط بشكل أو بآخر بعوامل مختلفة من شخص لأخر والشيء نفسه نجده في كتابة التاريخ والفلسفة فهي تخضع للعامل الذاتي وليس لها قواعد علمية يلتمسها الجميع إنما هي الرؤية الخاصة للمؤلف، أما العلوم التطبيقية فإننا نحصل على النتائج المحددة المعروفة لكل علم فالعالم في العلوم مهمته ، المشاهدة وتدوين النتائج ومقارنتها وبذلك تفقد الدراسات الإنسانية كثيراً من صفات الموضوعية التي يجب أن تلتزمها العلوم وذلك ناتج عن سوء التطبيق وليس عن قصور تعاني منه العلوم الإنسانية ، **تتميز العلوم الإنسانية بتراكم معرفي إنساني** وفق السياق الزمني يتكامل ويرتبط بعضه ببعض وهذا ما ساعد الإنسان على التقدم واستخدام الوسائل لاكتشاف الحقائق الإنسانية التي ساعدت العلوم التطبيقية في أبحاثها ودراساتها.

ومما لاشك فيه أن العلوم الإنسانية ترفد جميع العلوم بالمعلومات والبيانات والدراسات المساعدة على إنجازها مهامها ولا يخفى أثرها ووظيفتها الفاعلة في توفير دراسات تعد الأساس لبعض العلوم التطبيقية عند تنفيذها لأي برنامج علمي أو تجريبي. ومع التقدم العلمي والمعرفي البشري ازداد اهتمام المشتغلين بالعلوم الإنسانية على التخصص أكثر في المناطق المشتركة بين العلوم، حيث يهتم العلماء في الوقت الحالي بدراسة التاريخ الاجتماعي، والتاريخ الاقتصادي على سبيل المثال ، وتكون تلك الدراسة مزيج بين الفرعين العلميين ويتم من خلالهما التوصل إلى نتائج وحقائق جديدة حول المعرفة البشرية في العالم بما يسهم في دفع التطور العلمي إلى الأمام ، وفيما سبق إشارة إلى قوة الربط الحقيقية التي تربط العلوم الإنسانية بكل أنواع العلوم الأخرى .

إشكالية تصور للعلوم الإنسانية

نحاول في هذه الدراسة أن نحدد التصور الدقيق والنظرة إلى العلوم الإنسانية بين المدارس المختلفة ، ففي التصور التقليدي المشوّه أن العلوم الإنسانية إنما هي زيادة جدلية لا تأثير لها على سيرورة المجتمعات وحركاتها الحضارية ، وليس لهذه النظرة ما يؤيدها لا في قديم الحضارة العربية ولا في جديدها، فنحن نذكر الأعلام في العلوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإنسانية وآثارهم أكثر من ذكرنا لآثارهم العلمية فابن سينا وابن خلدون والجاحظ اشتهروا بالعلوم الإنسانية إلا أنهم في الحقيقة علماء في التطبيقي الذي لا ينفصل عن العلم النظري المتكامل معه تكامل معرفة ودراية ، لذا نحن نعرف فابن سينا العالم أكثر منه طبيبا.

وقد نجد اتجاهاً آخر في النظر إلى تلك العلوم ، ولعل هذا الفريق قد تأثر بالفكر الغربي الذي استند إلى العلوم الإنسانية المختلفة في تصحيح حركة المجتمعات والتخطيط لمستقبلها واستفادوا أيضا من دخول تلك العلوم في حياة المجتمعات الغربية واعتمادها أساساً لابد منه لتقديم التصور المستقبلي لأي دراسة مجتمعية وتطبيقية علمية تمس المجتمع وتعتمد عليه في جميع البيانات الخاصة بها .

ولعل التهميش الذي أهمل العلوم الإنسانية و خلّف بها عن الركب في الوقت المعاصر يتجسد في عوامل كثيرة ومتنوعة، ولكن قبل الحديث عن تلك الأسباب لابد من القول بأنها ستبدو بسيطة ومعروفة ولكننا في الحقيقة نجهلها من باب العمد والإهمال ومن تلك الأسباب ، العوامل الواقعية الملموسة التي تؤثر في النظرة إلى العلوم الإنسانية وفي التعامل مع نتائج دراساتها.

١. النتائج المستقبلية:

كثيراً ما ينظر الدارس أو الطالب إلى العلوم الإنسانية بالنتائج التي يمكن أن يحصل عليها من خلال دراسته لهذه العلوم ، فهو يرى أن الطريق التي يسلكها في دراسته لهذه العلوم ستؤدي إلى شقاء عملي وهذا ما يجعله مترددا في سلوك الطريق إلى هذه العلوم بسبب ما يعانيه العامل بها والدراس لها على حد سواء وفي نظرة المجتمع - بشقيه المتعلم وغير المتعلم- إلى ماهية تلك العلوم وفائدتها وهذا عائد إلى جهل في الأصل لتلك العلوم وعلاقتها بالواقع الذي تعيشه البشرية جمعاء.

٢. الوظيفة:

لا يحقق عمل العلوم الإنسانية الطموح الذاتي والمهني فقد يجد نفسه في مكان لم يكن يتصور أنه سيصبح عاملا فيه في يوم ما، فالحلم الذي كان يراوده أكبر مما اصطدم به من واقع وظيفي لا يحقق ولو جزءا يسيرا من أحلامه وأفكاره، أضف إلى ذلك أنه قد لا يجد فرصة للوظيفة التي هي خارج حدود أحلامه واهتماماته فضلا عن الإلزام والإقحام في مكان قد لا يبدع به لأنه لا يحبه فكما هو معلوم أن الحب لأي عمل يجعله ناجحا ومتميزا ويشترك في تلك المعضلة الدول والمؤسسات العلمية والخدمية، إذ لم يتم الحديث عن كل العلوم والإشارة إلى أهميتها لافي مقاعد الدرس ولا في الإعلام فجرت العادة على التعيين في أي مكان وفي أحسن الأحوال إذا حصل على وظيفة في التخصص فإن دورها في العمل محدودا، ولا يتم تنفيذ مهامه المنوطة به بواقعية وعلمية ناهيك عن غياب المنهج العلمي المفقود في الممارسات الوظيفية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣. نظرة طلاب البحث العلمي :

أصبح معظم طلاب البحث العلمي من المتخصصين يبحث ويخصص جهوده من أجل الحصول على الشهادة ورضا الأساتذة المشرفين عن البحث، وعندما ينتهي منه تتوقف جهوده ومساعيه الرامية إلى تحقيق أهداف بحثه وكأن المشكلة انتهت بانتهاء البحث وقبوله من لجنة المناقشة ، ومرد ذلك إلى النظرة العامة إلى تلك الأبحاث وما ورد فيها من أفكار وما ترمي إليه من أهداف علماً بأننا نستثمر كل المقولات في الأمور الشخصية والأسرية ونتفاخر في كتب تطرح تساؤلات عميقة تقدم حلولاً وأفكاراً لمعضلات المجتمع .

٤. نظرة العلماء والمشتغلين في العلوم الإنسانية :

من الملاحظ أن الفجوة في ازدياد ملحوظ بين الواقع والمأمول وخاصة عندما نجد الأستاذ الجامعي يشرح ويعرض مناهج عفا عليها الزمن وهو غير مقتنع بها ويكتب في غيرها عندما يتعلق الأمر بأبحاثه الخاصة ومقابلاته الشخصية وهو على علم بأنها غير مفيدة للطالب الجامعي، والطالب الجامعي نفسه غير مقتنع بما يتلقاه من علم ويحاول أن يقارن بين ما يسمعه داخل المحاضرة وما ينفذه في الواقع العملي منها، فتتحول رسالة العلوم الإنسانية من غراس وحاجات مجتمعية وعلمية إلى عبور اختبار وحفظ لما ردده أستاذه من معلومات.

٥. النظرة الأكاديمية والمجتمعية إلى العلوم الإنسانية:

ينظر المجتمع إلى العلوم الإنسانية كترف ثقافي وجوده وغيابة سواء، حيث ينعت كثيرا من المثقفين العلوم الإنسانية بألفاظ لا يجدر أن تخرج من واع لحركة التاريخ والمجتمع.

إن النظر إلى العلوم من زاوية ما تقدمه للمجتمع من خدمات آنية وليست أداة استراتيجية بعيدة المدى تحسب المخاطر في المجتمعات **يشكل تراجعا في تقدير قيمة الأشياء** في الحياة والاهتمام المستمر بالعاجل غير المهم على حساب العاجل المهم والنظرة بعيدة الأمد هي المطلوبة للحياة الناجحة ومتطلبات بناء المجتمعات، وقد بدأ هذا التقصير من جهل المجتمع بفحوى تلك العلوم وفائدتها، فالمجتمع يعرف فائدة الطب وغيره من العلوم التطبيقية حتى تلك التي لا يستخدمها ولكنه يجهل تماماً كل شيء عن علم الاجتماع والفلسفة واللغات وحركة التاريخ ، ولا يمكن القول بأن الجهل مصيره وقدره فهذا المجتمع نفسه استطاع أن يتغنى بابن خلدون وغيره عندما أتقنا الحديث عنهم وعندما وبذلنا الجهد كدول ومؤسسات للتعريف بأعلام العلوم الإنسانية، أما الطامة الكبرى فهي عندما يأتي تضيق العلوم من المشتغلين بها أو من الجامعات التي ترعى تعليمها وأبحاثها فتكون العلوم الإنسانية ضحية أي مقارنة لها داخل الجامعة مع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلوم الأخرى من حيث رصد الإمكانات المادية والمعنوية ومن حيث تلبية الاحتياجات.

٦. **كثافة الإنتاج وسوء التوزيع :**

عند التدقيق في حال العلوم الإنسانية وأزمتها نجد أن كثيراً من الأبحاث والدراسات لا ترتقي إلى مستوى العمل الرصين الذي يحدث أثراً في المجتمع أو يحاول ذلك من خلال امتلاك أدوات البحث العلمي ومحاكاته الناظمة لجودة العمل فيه العلمي وعدم وجود روح التحدي التي تحاول أن تخلق واقعاً مغايراً لما تعيشه المجتمعات ويكتفي دائماً بالتقليد فعلينا الاعتراف بأن اتباع النمط التقليدي في كثير من الجامعات **وعدم القبول بالتجديد** جعل من مناهج الدراسة في العلوم الإنسانية سببا آخر من أسباب أزمتها الراهنة.

الأهمية وتحديث المسار

إن أهمية البحث في هذا الموضوع تكمن في أن المجتمع يجب أن يتحسن فيما يخص رؤيته غير الجادة لأهمية العلوم الإنسانية وتسليط الضوء على دور العلوم الإنسانية وأهميتها لتطوير العلوم الأخرى ولترفع من قيمة الإنسان وتعامله ، ونحن نرى أن من أهم عامل لتطوير وتفعيل العلوم بجميع أشكالها هو النشر والتفعيل، ومن هذا الباب وجب نشر العلوم الإنسانية بين طلابنا وفي كل مؤسساتنا الحيوية السياسية والرياضية والاجتماعية والثقافية والصحية وغيرها وأن ترتبط الدراسات الإنسانية بكل العلوم والثقافات التي يتلقاها طلابنا ، فإن بنينا طبيبا ومهندسا ومحاميا وضابطا لا يستطيع أن يتفاعل في أسرته ولا في مجتمعه إلا بناء على ما يقتضيه دفع الحاجات لن يتآلف هذا الإنسان مع النظام المتكامل المترابط بطبيعة الحال، وجميعنا نعلم أن نظام الكون الشامل للمادة والروح أمره وتدبيره بيد الخالق المصور المبدع فيما يجعل الإنسان غير منفصل في الوجدان و الفكر عن الواقع المعيش، فالحاجة لهذه العلوم الإنسانية هي حاجة لازمة كتلازم الحاجة للغذاء والماء الذي ينظمه **الشأن الاقتصادي**، فكما أنه لا يمكن للمرء العيش على عنصر واحد من عناصر الحياة الأساسية كذلك فكرنا ووجداننا لا يمكن أن يعتمد على علم دون آخر .

ولا يشك أحد أن تحقيق النماء المجتمعي هو تحقيق للنماء المادي والعلمي وهو شأن إنساني يجب أن يتقنه المجتمع حتى ينجح علميا في تطبيقات العلوم. تعد العلوم الاجتماعية والإنسانية كعلم الاجتماع وعلم الاجتماع السياسي وعلم النفس ؛ من بين العلوم المهمة والضرورية التي تكتسب أهمية متزايدة في الوقت الحالي لفهم ودراسة التطور السريع في التغيرات الاجتماعية والسياسية الحادثة في أي مجتمع وخصوصا مع الأحداث الجارية في المجتمعات العربية.

إن البحث في أزمة العلوم الإنسانية يجب أن يستمر كي لا تقع مجتمعاتنا في دوامة الركون على الماديات ونسيان جوهر الإنسان وحاجته النفسية، وإن استمرار التنبيه إلا تشعبات تلك الأزمة يحفز الدارسين على إعادة النظر في حالة الإحباط والإهمال التي

يعيشونها، وقد نصل إلى مجموعة من النقاط الداعمة لمواكبة مسيرة المجتمعات المتغيرة وستحقق هذه الدراسة وغيرها في المؤتمر مجموعة من الأهداف وتنبه على أخرى ،من أهمها:

١- إضافة نظرية تطبيقية إلى ما هو معروف سابقا في الموضوع من الربط الوثيق بين الدراسات الإنسانية والتوجيهات من دراسات وعلوم وقيم إنسانية ترقى بالإنسان وتطوره .

٢- الدعوة إلى إضافة مواد إنسانية في كل الأقسام الجامعية تعزز الهوية الإنسانية وتحفز الرغبة الكامنة في محبة هذه العلوم والتعلق بها وفصلها عن الواقع المادي المحض، وجعل النظرة إليها نظرة مقنعة من حيث التصور الواقعي لها .

٣- أخذ العلم بأن مستقبل أجيالنا يعتمد على الفهم الصحيح للعلوم الإنسانية والتعرف على نشأة المجتمعات وأساليب تطورها، ليعتمدوا على ثقافتهم الذاتية وقيمهم الأخلاقية في بناء مجتمعاتهم والتفاعل مع الآخر دون الشعور بالضعف والدونية.

٤- بيان أهمية العلوم الإنسانية وفضلها على العلوم التطبيقية الأخرى.

٥- التخلص من الآثار السلبية لإهمال العلوم الإنسانية بفروعها المختلفة وخاصة في المجتمعات التي تعاني تغيرات جذرية في بنيتها وتوجهاتها.

نحن والغرب

إن اهتمام الأبحاث الغربية بالعلوم الإنسانية يثير التساؤل وهم أهل الصناعات ومصدرها، ومع ذلك فإن جامعاتنا العربية أقل اهتماماً من نظيرتها الغربية عامة، فلا ينظر إليها في المجتمع الغربي و الهيئات العلمية على أنها ترفا أو تخصصا ثانويا لا يمس حاجة المجتمع المباشرة مثلما هي العلوم البحتة والتطبيقية رغم طغيان العولمة ومبادئ السوق الرأسمالي عندهم، وقد قاموا بربط البحوث العلمية النظرية التجريدية حيث تعد العلوم الإنسانية والاجتماعية أحد أهم مرتكزاته وبين العلوم التطبيقية التي توجهها التكنولوجيا وأقسام العلوم وتطبيقاتها من هندسة وطب ونحوها .

ولتوسعة دور العلوم الإنسانية وتفعيلها في جامعاتنا لا بد من الاستفادة من جهود الغرب في توسيع مجالات الدراسات الإنسانية وتطويرها بشكل مستمر واستخدام طرائق مختلفة ومتنوعة، كما يجب أن نعرف كيف خففوا من سرعة التغيرات الصناعية والرأسمالية وأثرها على الدراسات الإنسانية والاجتماعية علما أن مجتمعاتنا تمتلك إرثا حضاريا يمهد الطريق لإعادة النظر في مكانة العلوم الإنسانية .

ولا بد من إعادة تآلف وتكيف الطلبة في معرفة دور العلوم الإنسانية واستلهام الماضي الذي كانت تتمتع فيه مجتمعاتنا بالعلم والحضارة، فكان للأديب والواعظ والقاص والروائي والشاعر والسياسي المفوه الدور الفاعل في المجتمع، فهذا ابن خلدون وذاك ابن بطوطه وحتى ابن سينا وغيره ممن عملوا في الشؤون العلمية واشتهروا فيها كانت شهرتهم الفعلية بسبب كونهم شعراء ومفوهين اعتنوا جيدا بتحصيلهم الأدبي قبل العلمي، ففي خطبة واحدة يلقيها مثلا زياد ابن ابيه والحجاج كنت تجد الحكماء يقولون أن هؤلاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيسودون قومهم لما يعرفون من تأثير قوة المنطق وسحر البيان والثقافة الإنسانية على المجتمعات آنذاك

لذلك نرى أنه لا بد من تفعيل إطار من العلوم الإنسانية يرتبط مع العلوم الأخرى ليقوي من مكانتها ابتداء ويمكّن طلبتنا وباحثينا من تطوير أدبيات التعامل معها، إضافة إلى مساعدته في تطوير مفاهيم العلوم الإنسانية وتفعيل التفكير والتأمل والبحث لدى الناشئة ويدعوهم للدخول في معترك التقدم العلمي بزيادة الرغبة للتعلم قبل العلم وهذا ما يساعد المجتمع لينهض في كل مجالات العلوم المختلفة .

عمق الأزمة

منذ بداية البسيطة إذا ما أردنا أن نبين طبيعة تقدم الأجيال، فنستطيع أن نقول في عصر الزراعة وعلاقات الإنتاج البسيطة كانت العلوم الإنسانية في قمة مجدها وكثرة اهتمام المجتمعات بها، ثم بدأت **عصور الصناعة** فانصب التركيز على قوة استخدام الإنسان للمعادن وبدأت تقل قيمة اهتمام الإنسان بالإنسان على اهتمام الإنسان بالجمادات التي تخدمه ، وفي عصرنا **عصر جمع المعلومات** وتقدم التكنلوجيا حتى بدأت الخبرات والعلوم تجمع بجميع الأشكال وتجمع لغرض الجمع وتلاه **عصر إدارة المعلومات** فبدأ التخطيط لفرز وتفعيل المعلومات الكثيرة المتجمعة بما يخدم مصالح الناس.

وفي **خضم هذا التطور المعلوماتي الهائل** يجب أن نغتنم الفرصة بالإشارة إلى قيمة العلوم الإنسانية ودورها في حياة الإنسان ، لأن عصر المعلومات هذا يحصل على كل معلوماته من المجتمعات وعلاقاتها وتحركاتها، وكل الثروات الطائلة التي تجنيها شركات المعلومات ناتجة عن التعامل مع الإنسان وعلاقاته وعاداته وصارت تلك المعلومات التي تتضمن كل شيء عن الإنسان (علمه ، طعامه وشرابه وملبسه ، أحاسيسه ومشاعره) نقطة تحول في ثورة المعلومات والاستفادة منها، وقد تحول الحديث في أزمة العلوم الإنسانية من أزمة في المجتمع إلى أزمة في معقل تلك العلوم والمكان الذي كان من المفترض أن تتطور فيه ألا وهو الجامعات العربية حيث تعد أزمة العلوم الإنسانية فيها استكمالا لمسلسل الأزمات المتعلقة بآليات التعليم وسياساته .

ومن المؤكد والمتفق عليه أن السمة الغالبة في الجامعات العربية هي تدني مكانة العلوم الإنسانية مقارنة بالعلوم الأخرى التي تعتمد المهارات العملية ، ولهذا السبب يرى أن الكليات المتخصصة في العلوم التطبيقية كالطب والعلوم والهندسة وتقنية المعلومات تحظى دائما بإقبال كبير ،وتوليها الجامعة الاهتمام الأكبر، وتضع لها الإمكانات العالية، بل وتختار لها أذكى الطلبة وأكثرهم اجتهادا عن طريق ربط الدخول إليها بالمعدلات العالية.

إن إلغاء دور العلوم الإنسانية أشبه ما يكون بدعوة مجموعة من الأصدقاء إلى منزلك، ثم لا تتحدث إليهم مطلقا، وتقدم لهم كل ما يحتجونه من طعام وشراب سيكون الأمر محزنا ومثيرا للسخرية، لأن الماديات وحدتها لا تبني مجتمعا متماسكا وبالتالي منتجا وحضاريا.

المسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا لابد من ربط الجامعات بالمجتمعات وليس بالمؤسسات المالية والصناعية فقط، فالعلم الذي يخدم المجتمع يمكن أن يزود المؤسسات الصناعية بالطاقات البشرية الواعية ، أما العلم الذي يركز في علاقاته مع المؤسسات الصناعية فقط فلن يجد المجتمع الذي يتعامل مع تلك الصناعات، فما فائدة المصانع وسط مجتمعات مفككة وجاهله. باختصار الجامعات مكان لبناء الفكر وتفعيل القيم وصناعة المنطق السليم وإذا تخلت عن هذه المهمة فتكون أشبه ما تكون بالبنوك التي لا تفقه إلا لغة الأرقام.

العلوم الإنسانية وسوق العمل اليوم

تحولت بحوثنا الجامعية إلى مجرد استبانات وبيانات تحقق منهج القياس والإحصاء لتكملة الدراسة . نحن بحاجة إلى ثورة في دراسة العلوم الإنسانية لأنها تبني الإنسان فالقاضي لا يصنع آلة لكننا نحتاجه ونحتاج لحكمته ومعرفته العلمية والاجتماعية في الحفظ على حق الإنسان وبالتالي حياة الإنسان الآمنة .

النتائج والتحليل

للعلوم الإنسانية دور مهم في فهم وبناء الفرد وبنية المجتمع ، حيث تسهم في رصد الظواهر الإنسانية وفهم التغيرات والتحولات والمشكلات والقضايا المجتمعية واقتراح الحلول المناسبة والسيطرة عليها ، كما تسهم هذه العلوم في الارتقاء بالمستوى الحضاري والفكري والقيمي للإنسان والمجتمع .

تهتم العلوم الإنسانية بالمجتمع وبنيته وطريقة تطوره لذا تعد أخطر العلوم وأكثرها أهمية في حياتنا . لأن بناء الإنسان هو بوابة البناء للعالم كله فإذا فسد الإنسان فسدت الأرض .

إن العالم المتغير بهذه الطريقة يجعلنا بأمس الحاجة إلى العلوم الإنسانية ودراستها لأننا نستطيع من خلال التنبؤ بحركة المجتمعات وتطورها. وبالتالي تمكننا من توقع ما يحيط بمجتمعاتنا من تغيرات وما يعقب تلك التغيرات من نتائج قد تكون خطيرة وقاتله إذا لم يتم تداركها والتعامل مع آثارها بطريقه علمية. هناك تهميش واضح للعلوم الإنسانية بحجة الاهتمام بالعلوم التطبيقية ولكن النتيجة الواضحة أمامنا أننا تركنا علوم الإنسان لنطور علوم الآلة ولم نصل إلا إلى تطور صناعي ولا تطور إلى تطور مجتمعي يجعل من مجتمعنا نموذجاً للعمل والتعايش والحضارة وعلى العكس تماماً فقد اهتم الغرب بالعلوم الإنسانية فحقق تقدماً صناعياً ومجتمعياً .

عصفت بمجتمعاتنا العربية عواصف التغير وتغيرت قيمة وأهدافه فلابد من نهضة في العلوم الإنسانية تبني هذه المجتمعات وتعيد إليها حضارتها الإنسانية الراقية، ولا سيما أنها تمتلك إرثاً حضاريا عظيماً.

إن أول خطوة في هذا المجال تكون من مقاعد العلم والخطوة التالية تبدأ من تحديد مشكلات هذا الوضع المأساوي وسبب انفراط منظومة عريقة يمتلكها الإنسان العربي دينياً وحضارياً تؤهله لتعلم العلوم ولبناء حضارات إنسانية راقية، ثم علينا تقديم الدعم المادي والمعنوي لأفرع العلوم الإنسانية يجعل منها مركز اهتمام وقبلة الدارسين، ولن لا يكون بمجرد التنظير بل يجب أن تبدأ به الدول بتحفيز المجتمعات على فهم ماهية العلوم ودورها الحضاري.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد أدركت الدول المتقدمة أهمية هذه العلوم فأسست ودعمت العديد من مؤسسات ومراكز البحوث والدراسات الاجتماعية والإنسانية، للقيام بدراسات جادة ودقيقة، ليس فقط لدراسة أفرادها ومجتمعاتها، بل أيضا لدراسة مجتمعات الدول الأخرى.

لقد أصبحت هناك حاجة ماسة للاهتمام بالعلوم الإنسانية ودعمها بالقدر الذي يتناسب مع قيمتها وأهميته المتزايدة لفهم مجتمعاتنا العربية المعاصرة وتحليل علاقاتها الاجتماعية والثقافية، وكذلك الإسراع في الدعم المعنوي والمادي الكافي لمراكز وكليات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وتأسيس مراكز بحوث أخرى حديثة تركز على موضوعات ومجالات بعينها أفرزتها التغيرات الجارية مثل قضية الدولة والأمة، وموضوع الانتماء والمسؤولية الاجتماعية، أسباب الصراعات، وبنية وتماسك المجتمع فهم سلوكيات واتجاهات الأفراد وبنية المجتمعات واستشراف حاضرها ومستقبلها، ويتحقق ذلك كله بدعم العلوم الإنسانية والعاملين فيها، وتشجيع الباحثين والمهتمين بتلك العلوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

توصيات ومقترحات

١- تحري الدقة والواقعية في أبحاث العلوم الإنسانية يجعلها أكثر فائدة وتقبلا من المجتمع والمؤسسات المعنية .
٢- دمج العلوم الإنسانية ومخرجاتها في معظم الأقسام والدراسات التطبيقية.
٣- وضع أهداف ثابتة وموضوعية للعلوم الإنسانية في التدريس والحياة.
٤- المطالبة بأبحاث مستمرة تقدم لها المنح والمساعدات لرصد التحولات المجتمعية وتقديم النصح لصانع القرار الخدمي والتعليمي.
٥- توجية الدراسات الإنسانية نحو ضمان تماسك المجتمعات وتوجهاتها المستقبلية.
٦- وضع المناهج المتطورة وتتبع كل ما هو جديد في التعامل مع العلوم الإنسانية .
٧- تحويل برامج العلوم الإنسانية إلى وسائل عملية تدخل في توجيه المجتمعات وفهم متطلباتها.
٨- منح خريجي العلوم الإنسانية فرص العمل والبحث .
٩- تخصيص جزء من أبحاث العلوم الإنسانية نحو تحقيق الأمن الاجتماعي ومراقبة تطور طبقات المجتمع، كي لا تظهر طبقات مسحوقة فقيرة تهدد استقرار الحياة الاجتماعية.
١٠- تتبع مسارات الخريجين في العلوم الإنسانية والتعرف على تطور أدائهم في سوق العمل، ورسم الخطط الكفيلة بتقديم معلومات ذات نفع أكثر من التركيز على معلومات لم تعد مستخدمة وصالحة .

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ